الدين والدنيا في عام ١٩٠٨

نظر اجمالي للاب لويس رتزفال اليسوعي

هو الانسان ابنُ يومهِ اذا أُصيب برزء استعظمهُ حتى عدَّهُ من اعظم الارزاء. فليس كبَرْد شتائهِ قرّ ولا كحرّ صيفهِ قيظ. وكذلك السنون فانهُ يرى في كلّ سنةٍ تمرُّ عليهِ احداثاً يحسبها غلبت السنين السابقة خطراً وشأناً. فاذا انتهى ذاك العام ودخل في احوالٍ جديدة ذات بال سها عمّا مضى وشُغل خاطرهُ بالحوادث الطارئة عليهِ بحيث يصحُّ قول سليمان الحكيم: ليس شيء جديد تحت الشمس

على انَّ القرّاء في آخر السنة المنصرمة احقّ بان يصرخوا كم جرى في هذا العام من الامور الغريبة التي ليس لها سابق او نظير فأيّة سنةٍ رأت ما رأيناهُ في السنة الماضية. فكم حدث فيها من عظائم الامور والتقلّبات التي لم نعهدها من ذي قبل حتى كاد محور السياسة العموميَّة يخرج عن قطبهِ

ففي اوّل سنة ١٩٠٨ كانت عدّة امور تحت البحث فلا يُعرف ما ينتج عنها من الطوارئ. فكان ارباب السياسة ينتظرون بفروغ الصبر ما ستؤول اليهِ منازعات الولايات المتّحدة واليابان وضغائن اليابان والصين وخلاف المانية وفرنسة. فكلّ هذه الاجزيّات كانت تعكّر مياه السلام وتصدّ صفاء القلوب. وبقيت الاحوال على ذلك الى اواسط السنة الجارية حيث سُمع في الاستانة العليّة صوتٌ بلغ صداهُ اقاصي الدنيا ففي ٢٥ تموز دخلت تركيَّة في طور جديد لم يخطر لاحد على بال فأضحى حكمها دستوريًا بعد ان كان مطلقًا وضبطت عنان تدبيرها جمعيَّة الاتحاد والترقي يسندها ارباب الجيش والضبّاط. فخبّر عمّا لقي هذا الانقلاب من الحظوى لدى العثمانيين ولا حرج فثلجت بهِ نفوسهم وطربت اليابهم فاستقبلوه بالمظاهرات والافراح كما يتلقّى العبد خبر تحريرهِ والاسير نبأ فكّ اغلالهِ

على انَّ هذه المسرّات لم تلبث ان كدّرت صفاءها مطامع الدول المجاورة فانَّ البلغار انتهزوا هذه الفرصة ليعلنوا باستقلالهم واليونان طمحوا بنظرهم الى كريت فنظموها في سلك مملكتهم وقطعت النمسا الروابط الاخيرة التي كانت توصل بلاد

السلطنة العثمانية بولايات البشنق والهرسك . فنظرت اوربا الى هذه الحوادث نظر التعجب الندهش ولعلّ الحيرة ستؤدّي بها الى ما هو اعظم وارهب . واذا انتشبت الحرب فهيهات ان يعود السيف الى غمده دون ان تجري الدماء سيولًا و يتغيّر مركز التوازن الاوربي

أجلّ ان هذه الامور لجليلة تدعو العقلاء الى التروّي والاستبصار في احوال السنة المنصرمة الّا انّ ابناء الكنيسة يجدون فيها ايضًا ما يبهج ارواحهم و يؤيّد آمالهم الطيّبة فانها والحقّ يقال كانت لهم سنةً سعيدة انتعش بسببها في قلوبهم حبّ الكنيسة وحبّ البتول الطاهرة فاما حبّ الكنيسة فأسمره يوبيلا قداسة الحبر الاعظم الكهنوتيّ والاسقفيّ (راجع المشرق ١١ : ٨٠٣ — ٨١٧) فاهتزّ العالم الكاثوليكيّ طربًا لهذا الموسم الجليل . واما حبّ العذراء مريم فلم يكن وقعهُ في القلوب أضعف واخفّ لما أُقيم في لورد من الحفلات البهيجة بمناسبة السنة الخمسين لظهور امّ الله في تلك البُقعة المختارة فكان ظهورها دليلًا جديدًا على انعطافها ومحبّتها الوالديّة لابناء جنسنا . فيا حبّذا هذا المنظر الشائق الذي يسرّنا ان نقرّ فيهِ الابصار قبل ان ننتقل الى ذكر اهمّ الحوادث الجارية في العام الماضي . فانّ شخص العذراء الكريم يلوح لنا كشارة السلام وقوس قزح الاطمئنان في افق السياسة المتلبّد

١ الدينيّات في عام ١٩٠٨

في سنة ١٨٥٤ أعلن الطيب الذكر بيوس التاسع قضيّة حبل العذراء مريم البريء من وصمة الخطيّة الجدّيّة . فما مرّ على ذلك اربع سنوات حتى انحدرت سلطانة السماء من سموّ عرشها لتؤيّد تعليم الحبر الرومانيّ فتراءت للفتاة برندات ولمّا سألتها هذه عن اسمها اجابتها مبتسمةً : « أنا التي حُبل بها بلا دنس » ومن وقتها اظهرت من المعجزات الباهرة والآيات المتعدّدة ما اسكت كلّ المنتقدين وأفحم كلّ الملحدين (اطلب المشرق ١١ : ٣٢١ — ٣٣٤)

ومن عجيب مظاهر العناية الصمدانيّة انّ في تلك السنة ١٨٥٨ عينها قد اصطفت لها البتول رجلًا اسمهُ كاسم خطيبها الجليل يشبهُ يوسف النجّار باصلهِ وكان اهلهُ عَمَلة خيّاطين (Joseph Sarto) فنال المذكور نعمة الكهنوت بضع اسابيع بعد

الظهور الاخير الذي فيه تراءت مريم لأمتها برندات . فمذ ذاك الحين لم تزل والدة الربّ تقود عبدها وترشحهُ شيئاً فشيئاً الى اسمى المراتب الدينيَّة بصفة كاهن رعيَّة ثمَّ في الدرجة الاسقفيَّة ثمَّ في الرتبة البطريركيَّة ومنصب الكرادلة حتى اجلسهُ الروح القدس على عرش السلطة البابويَّة كخلف لحبرَين جليلين ملأَا الاسماع والقلوب بشريف اعمالهما. فهذا الرَّجل المختار اعدَّتهُ البتول ليكون كخطيبها قيِّماً على بيت الله وسلطاناً على جميع مقتناه فنهضت به من التراب لتجلسهُ مع عظماء شعب الله . ولعمري اذا وجهتَ النظر الى اعمالهِ منذ يوم تبوَّأ كرسيَّ بطرس وجدتهُ أهلاً بخلفائهِ العظام مجيداً في كلّ مشروعاتهِ يجمع كارباب السياسة المبرزين بين الشدَّة واللين معتمداً في اعمالهِ لا على أنوار الفطنة البشريَّة بل على سُنن الحكمة الالهيَّة . فترى فيهِ اليوم اعظم قوَّة ادبيَّة على الارض واكمل مثال لرأس الكنيسة غير المنظور الذي ليس لملكهِ انتهاء . ومن ثمَّ قد تسابق ابناء البيعة بل روَّساء الدول انفسهم ليقدّموا لذاتهِ الكريمة فرائض التهانئ بيوبيلهِ الكهنوتيّ

وكما عظَّمهُ الله في هذه السنة في اعين البشر وأعانت البتول مفاخرهُ بازاء العالم كذلك هو اشار بمناقبها واشهر محامدها وذلك مرَّة أولى في السنة ١٩٠٤ لمَّا اقام حفلات يوبيل عتيدة الجبل بلا الدنس الخمسينيّ (اطلب المشرق ٧ : ٣٩٣) وقد عاد في السنة المحرمة وفتح كنوز البيعة الروحيَّة لزوَّار لورد ولكل المؤمنين الذين يكرمون العذراء البرية من الخطإ الاصليّ فوافقت هذه الحفلات يوبيل الحبر الاعظم الكهنوتيّ ويوبيلهُ الاسقفي فكان هذا الاتفاق بيّنةً صادقة على ما بين رأس الكنيسة وسلطانة البيعة المقدَّسة من الروابط البنويَّة والحماية الوالديَّة

ومما يقال بالاجمال انَّ اعياد لوردَ اليوبيليَّة كانت كانتصار باهر لشفيعة العيد وللكنيسة المقدَّسة وجرى افتتاحها في مساء اليوم العاشر من شباط فكان غد ذلك النهار يوماً مشهوداً حضر حفلاته الشائقة اربعون الفاً من المؤمنين الذين تألَّبوا من كلّ اقطار اوربَّة بل ومن مصر ومن سوريَّة وكان يتصدَّر في هذه الحفلات الكردينال لوكو (Lecot) الوفد من قداسة الحبر الاعظم مع اثني عشر اسقفاً . ثمَّ تكرَّرت تلك المظاهرات التقويَّة في ٢٥ آذار وهو اليوم الذي صرحت فيهِ العذراء باسمها الكريم للفتاة برندات انها « التي حُبل بها بلا دنس » وكان المتولّي رياسة هذا العيد

رئيس اساقفة ڤيترب والقاصد الرسولي سابقاً في الاستانة السيد غراسلي . اما ختام هذه المواسم البهيجة فوقع في ١٦ تموز ذكرى الرؤيا البتول الدفعة الاخيرة ابرندات . وقد فاقت تلك الحفلة على الحفلات السابقة وكان يرأسها خمسة عشر اسقفاً يتقدمهم الكردينال لوكو وعدد لا يُحصى من الزوّار بينهم زوّار فرنسة الذين كانوا ستين الفاً . وكأنّ السيدة العذراء لم تشأ أنّ يغلبها اهل الارض بالكرم والحبّ فحصل في ذلك اليوم وحده عدّة معجزات قرّر الاطبّاء النطاسيّون صحّتها بعد الفحص المدقّق . وقد عاد كلّ من حضروا تلك الاعياد والسنتهم تترطّب بالثناء على امّ الله التي أُحيت في لورد معجزات ابنها على الارض بشفاء كلّ اجناس الامراض والاسقام التي اعيت عن علاجها الوسائل البشريّة والأدوية المادّيّة

وبينما كانت تُقام هذه الاعياد في لورد ويحتفل العالم الكاثوليكيّ بيوبيل الحبر الروماني جرت في رومية العظمى مراسم أخرى لا يُرَى لها شبيه في العالم كلّه اذ هي تنطق بلسان حالها عن وحدة الكنيسة الكاثوليكيّة في اختلاف الطقوس فانّ في هذه السنة وقع تذكار المئة الخامسة عشرة لوفاة القديس يوحنّا فم الذهب (المشرق ١١ : ١) فاحتفلت امّ المدائن باعياد خارقة العادة ظهرت فيها الطقوس الشرقيّة بكلّ بهائها لا سيّما في العشر الثاني من شباط . ففي ١٢ منه أُقيمت رُتَب جليلة فاحتفل غبطة السيّد البطريرك كيرلّوس جحا بالقداس الالهيّ وفقاً للليتورجيّة صاحب العيد وكان يساعده عدد من الاساقفة الروم الملكيين والبلغار والروثان واراد الحبر الاعظم ان يشاطرهم في هذه الرتبة فتلا معهم باليونانيّة قسماً من صلواتهم . فكان لفعله تأثير عظيم في قلوب الحضور . وبمناسبة هذه الاعياد تألّفت لجنة لنشر مقالات وكتابات شتّى في الذهبيّ الفم (Χρυσοστομικά) ظهر منها بعض الاقسام (المشرق ١١ : ٨٧١)

ومن الحفلات الدينيّة البهيجة التي جرت ايضاً في رومية في السنة المنصرمة تطويب بعض اولياء الله نخصّ منهم بالذكر الراهبة المكرّمة السيّدة بارات (Mme S. Barat) منشئة راهبات قلب يسوع في فرنسة وقد حضر هذه الحفلة ثلثون الفاً من الزوّار

اما زيارات الكاثوليك الى امّ المدائن فكان لها في السنة الماضية من الرونق والأبهة ما زادها اعتباراً فكان السيّاح يأتون الوفاً وربوات ليواجهوا سجين الڤاتيكان ويؤجّجوا في قلوبهم بقربه نار غيرتهم . وكانت هذه الزيارات متواصلة لا تنقطع

تناوبت فيها كلّ الدول تخصّ منهـا زيارة الفرنسويين في ٢٣ و٢٤ أيار بثّ امامهم الاب الاقدس ما يكنّهُ قلبهُ من عواطف الحبّ نحو فرنسة وغمًا عن خطّـة حكومتهم العدائيّة. ومنها استقبالهُ للزوّار الانكليز والالمان في ٢٥ ت ١ يتقدّمهم الكردينالان بورن (Bourne) وفيشر (Fischer) فأثنى قداستهُ على همّـة الالمان وتحمّسهم الديني واتّحادهم وذكر مؤتمرهم السنوي الكاثوليكيّ في دوسلدورف حيث اجتمع نيّف وستّون الفًا من الفَعَلة فسارروا في موكب عظيم أذهل كلّ من رآهُ او سمع به. أمّا الانكليز فهنّأهم الحبر الاعظم عن مؤتمرهم القرباني الذي وصف المشرق (١١: ٩٢٤) مظاهراتهِ الفخيمة في عاصمة الممالك المتّحدة وكان الكردينال فانوتلي يتصدّر نيابةً عن قداستهِ تلك الحفلات التي اعتزّ لها طربًا العالم الكاثوليكيّ ولم تأنف احدى جرائد البروتستانت الكبيرة ان تسمّيها «باعظم حادث دينيّ جرى في انكلترة منذ عهد الاصلاح». وقد دعا بيوس العاشر هذا المؤتمر انتصارًا للكنيسة الكاثوليكيّة

أجل انّ الكنيسة الكاثوليكيّـة لا تزال منتصرةً حتى في الاضطهادات التي يثيرها عليها اعداؤها. ألا ترى فرنسة مثلًا حيث الكفر هاج وماج حتى انـهُ حرم في نيسان الكنيسة من اوقافها وتزع من ايديها ما حبـهُ عليهـا المؤمنون للصلاة على نفوسهم. فانّ كلّ هذه المحن كانت للكاثوليك كالبوتقة التي يُمحص بنارها الذّهب ليزيد صفاء فترى اليوم اساقفة فرنسة أطوع لأوامر الحبر الروماني من بنانهم يتناصرون ويتضافرون في كسر شوكة الالحاد ورفع منار الايمان وارشاد الضالّين. وقـد سمت الحكومـة بأن تفرّق كلمتهم ملتجئة الى المداهنة والخداع كما فعلت في شهر أيار بوضع سُنّةٍ كاذبة دعتهـا «سُنّة الاشتراكات الاكليروسيّة» لتسدّ بها سيطرتها على الكنيسة كما اقرّ بذلك اصحابها وأعانت بهِ الجرائد البروتستانيّة عينها حتى انّ نحو خمسين من اعيان البروتستانت طلبوا من الوزير بريان (Briand) المدافع عن تلك السنّة الظالمة بان يكفّ عنها لجورهـا في حقّ الكاثوليك. أمّا ابو المؤمنين فكان سبق وكشف عن دسائسها وحذّر الاساقفة من كيدهـا فاسرع رُعاة فرنسة الى رذلها وعرف الاشرار انّ نواياهم ذهبت ادراج الرياح

ومن نتائج معاداة الحكومة الفرنسويّة للكنيسة النهضة الدينيّة التي تُرى الآن في انحاء تلك الدولة. فانّ الكاثوليك عرفوا ما في الاتّحاد من القوّة فأخذوا يؤلّفون

الشركات وينفون الخفائن السائقة بين زعمائهم ويوفّرون الوسائل للمدافعة عن حقوقهم المهضومة وللذبّ عن ذمار الدين. وقد اتت كلّ هذه المساعي بثمارها الطيّبة. وانما ظهرت قوّة الكاثوليك خصوصاً في الحفلات الشائقة التي اقاموها في مدينتي اورليان وباريس لاكرام حنّة درك الفتاة الشهمة التي انتدبها الله فاعتقت فرنسة من نير اعدائها في اوائل القرن الخامس عشر (المشرق ١١ : ٩٥٧) فتمّت تلك المظاهرات بما لا يفي بوصفهِ اللسان من البهاء التامّ والتحمّس العظيم. وكان اصحاب الجمعيّات الماسونيّة اضمروا السوء للكاثوليك فطلبوا ان ينظموهم في عداد المؤتمرين لكنّهم رُدّوا خائبين. ومما زاد هذه المراسم ما بلغ المؤمنين بأن الحبر الاعظم رضي بحكم المجمع المقدّس في سموّ فضائل حنّة درك وصحّة معجزاتها فعوّل على ادراج اسمها في سجلّ الابرار في ١٨ نيسان القادم. فشكر الفرنسويون لقداسة بيوس العاشر انعطافهُ نحوهم وتلطّفهُ في اكرام قديسيهم كما فعل بالمكرّمتين حنّة درك والسيّدة بارات المذكورتين ثم أثبت ايضاً قداسة راهبةٍ أخرى فرنسويّة اسمها مريم المجدليّة پوستال (Postel) وسمح باكرام الشهداء المقتولين في قوصتين والتنكين الذين تقدّمهم للموت في سبيل الايمان الفرنسويّان السيّد كوينو (Cuénot) والكاهن تاوفيل ڤينار (Th. Vénard)

ولولا ضيق المقام لاتممنا في امور كثيرة غيرها تنبئ بنهضة الدين في فرنسة. وناهيك بالحفلة العظيمة التي أقيمت في باريس عند موت رئيس اساقفتها الكردينال ريشار المتوفّى في ٢٨ ك ٢ ١٩٠٨ فكانت جنازتهُ فوزاً للدين حضرها ٥٢ حبراً بينهم الكرادلة ورؤساء الاساقفة والاساقفة وكأنّ باريس كلّها في ذلك اليوم قامت وقعدت لتبجيل رئيسها الديني

وقد جرت حفلة اخرى مثلها عند وفاة الكردينال ماتيو احد اعضاء جمعيّة العلوم الفرنسويّة ومن اشراف الاحبار الفرنسويين. والمذكور بعد ان حضر المجمع القربانيّ في لندن بقي هناك لعمليّة جراحيّة كان قضى بها الاطباء لشفائهِ. فانتكس بعدها واستأثر بهِ الله في ٢٥ ت ١ فبالغ الانكليز في اكرام المرحوم واقيم لراحة نفسهِ جنّاز حافل في كنيسة الآباء اليسوعيين. ثمّ نُقلت الجثّة الى فرنسة الى مدينتهِ نانسي حيث اوراهُ الرمس كردينالان و٢٠ مطراناً اواسقفاً و٤٠٠ كاهن وكثيرون من العلماء والاعيان

فتعدّدت عليه الخسرات. كما عمّ الاسف مؤخّرًا لوفاة الكردينال لركو (Lecot) الذي مات فجأة في شامبري في ١٩ ك ١ وكان مولدهُ في ١٨٣١ امّا الاعمال الخيريّة في فرنسة فانها زاهية نامية فانّ الفرنسويين اليوم يقومون وحدهم بأود كلّ اكليروسهم فيعوّضونهُ عمّا سلبتهُ الحكومة من الاوقاف او ابطلتهُ من الجرايات ثمّ يدفعون الملايين من المال لتهذيب اولادهم في مدارس كاثوليكيّة كأنها على نفقتهم. ومن الدلائل الواضحة على اريحيّة الفرنسويين وجودهم انّهم يتقدّمون الجميع في مشاريع الاحسان والغيرة الدينيّة كجمعيّة مار منصور دي پول مثلًا فانّهم يدفعون لها اكثر من مليوني فرنك بمقابلة ١٦ مليونًا يتصدّق بهِ المحسنون في العالم كلهِ. وكذلك قد تبرّعوا لشركة انتشار الايمان بنيّف وثلاثة ملايين اعني قريبًا من نصف ما يُجتمع في كلّ البلاد لهذه الغاية

وممّا يزيد املنا في قيامة فرنسة وفوز انصار الدين فيها انّ السيدات الفرنسويّات قد اعتصبن وألّفن جمعيّة تزداد يومًا بعد يوم عددًا ونفوذًا. وكان في هذه السنة اجتماعهنّ في ليون حافلًا فخطب فيهنّ الكردينال كوليه رئيس اساقفة المدينة واثنى على غيرتهنّ في سبيل الدين والوطن

وان حوّلنا النظر الى ايطالية وجدنا هناك حربًا عوانًا بين الكاثوليك واعدائهم. فانّ اصحاب الجمعيّات السرّيّة وفي مقدّمتهم اليهوديّ ناتان رئيس بلديّة رومية وزعيم الماسون كانوا اجمعوا على معارضة انصار الدين وكانوا خصّوا قراءهم خصوصًا لنفي الدين في المدارس المحلّيّة والغاء قانون كازاتي (loi Casati) في التعليم الدينيّ. وجرى في ذلك مفاوضات ومنازعات عقدها المبعوث بيسولاتي (Bissolati) في الجلسة المنعقدة في ١٥ شباط الّا انّ الكاثوليك لم يحجموا عن الجهاد فدافعوا عن حقوق الدين احسن مدافعة حتى فازوا بالظفر وقرّر المجلس باكثريّة عظيمة حفظ التعليم الديني فخُزي المنافقون في ٢٧ منهُ. وبعد هذا الواقع بشهر واحد عقد الكاثوليك مؤتمرًا حافلًا في جنوة كان مدارهُ على تهذيب الشعب وتربية الاحداث على الاصول الدينيّة. وبقيت السنة ميمونة سعيدة لايطالية حتى كدّر صفاء سمائها الزلزال الهائل الذي لا تزال انباؤهُ الفاجعة تدوي في قاربنا الى اصاب تلك الجهات ولاسيّما مدينتي مسينة وراجيو من الدمار والبلاء (راجع المقالة التي خصّها المشرق بهذا الخطب الجليل في هذا العدد)

انتصر الكاثوليك في انتخابات فينّة البلديّة ايّ انتصار أمّا رئيس البلديّة فهو الدكتور لويغر (Lueger) الخطيب الشهير واحد زعماء الكاثوليك الذي نال عددًا من الأصوات اوفر من السابق

لا يزال الدين الكاثوليكيّ في انكلترّة رافعًا ألويتهُ . ومّما عُرض آخرًا على مجلس الأمّة إلغاء بعض القوانين التي سُنّت في العهد السابق ضدّ الكاثوليك وابطال ما في القَسَم الملكي مجحفًا بالدين المستقيم فمال هذا الاقتراح رضى المندوبين للمرّة الاولى . وكذلك استرجع المستر اسكيث (Asquith) القانون الذي عرضهُ على مجلس العموم بخصوص التعليم الدينيّ في المدارس لمّا رأى انّ الكاثوليك والانكليكان اتّفقوا على مناصبته

قد مرّ لنا آنفًا ذكر المؤتمر الكاثوليكي في المانية حيث جانبُ الدين لا يزال مرعيًا

امّا روسيّة فانّ علاقاتها في هذه السنة مع الكرسيّ كانت غاية في الوداد . فزار الغرندوق ڤلاديمير عمّ القيصر قداسة الحبر الاعظم وكذلك جلالة نيقولا الثاني فانّهُ تلطّف بمناسبة يوبيل الحضرة البابويّة ان يُرسل لامام الاحبار رقيمًا بيدهِ — والأمل معقود في انّ الكاثوليك ينالون قريبًا في تلك المملكة الحرّيّة التامّة فيعضدون الحكومة في مشروعاتها ولاسيّما في توطيد اركان السلام ومناصبة ارباب الفتن

سبق البشير والمشرق (١١ : ٧٤٨) فذكرا ما اولتهُ الدنيرك للكاثوليك من الحرّيّة وكيف انتظمت الاستفيّات في تلك البلاد وعادت اليها الجمعيّات الرهبانيّة فجدّدت فيها كل الاعمال الخيريّة والمشروعات الطيّبة

الحزب الكاثوليكيّ في بلجيكة كان هو الفائز في الانتخابات التي جرت في العام الماضي . وان كان قد فقد كرسيين في مجلس الأمّة فانّهُ استعاض عنهما بمثلهما في مجلس الاعيان . وقد عيّن الكرسيّ الرسوليّ للنيابة الرسوليّة في بروكسل سيادة القاصد الرسوليّ سابقًا في الاستانة العليّة المنسيور تاكشي . اما هولندة فانّها جارية في سبيل الترقي والدينُ فيها عالي المنار والكاثوليك لا يتجاوزون هناك ثلث السكّان لكنّهم اتقياء نشطاء كرماء في اعمال الخير وهم بعد فرنسة المتقدّمون بين الدول بكثرة صدقاتهم . فانّهم في السنة ١٩٠٧ قدّموا لشركة مار منصور الخيريّة ١,٩٣٠,٠٠٠ فرنك فكادوا يجارون فرنسة نفسها بسخائها

ولسنا لنفسي المملكة الكاثوليكية اسبانية الشريفة فانها منذ بضع سنوات قد افاقت من سِنتها فسارت وراء ملكها النشيط في كلّ سُبُل الارتقاء والتقدُّم . وان خصصنا بنظرنا الدين وجدنا في القسم الثالث عشر مثالًا للتقى فانهُ في العام المنصرم اراد ان يعرب عن اخلاص حبّهِ للكرسيّ الرسوليّ فانشأ في عاصمتهِ وفي كلّ انحاء بلادهِ اعيادًا حافلة بنسبة اليوبيل البابويّ . وكذلك قامت الافراح والمظاهرات الدينيَّة في كلّ انحاء اسبانية تذكارًا للحرب الدينيَّة التي أصلتهـا تلك البلاد قبل مئة سنة ضدّ الثورة الفرنسويَّة وزعيمها نابوليون . وسار الملك الى برشلونة ثمّ الى سرقسطة والشعوب تتزاحم على طريقهِ وكانت اوّل زيارة زارها هناك للسيّدة البتول في مزارها دال پيلار (del Pilar) الذي يعظّمهُ كلّ الاسبانيين . امّا المسائل التي كان تتفاوض فيها الدولة الاسبانيَّة مع الكرسيّ الرسوليّ فقد انتهت برضى الدولتين وعتبه سفر الكردينال رمبُولا الى مجريط — والبرتوغال جارة اسبانية واهلها شاخصون بنظرهم الى ملكهم الجديد ولهم واضعون عليهِ كلّ آمالهم

امّا الممالك المجروسة فانّنا بعد اعلان الدستور وتقرير حرّيَّة المذاهب نؤمّل للدين المستقيم نموًّا وازدهارًا وهو املٌ وطيد مبنيهِ على ثقتنا بسيّدة لبنان التي نُصب في العام الماضي تمثالها على مشارف حريصا فوافق تمجيدُها حلّ رِبْقتنا من العبوديَّة الظاهرة . فجاء ذلك كرمز عن فكّها لعبوديَّة النفوس التي هي اسوأ الاسترقاق . وقد عرف رؤساؤنا الروحيّون ما في هذه الحوادث الجديدة من عظم الشأن فصرّحوا بخطرهـا وكفى بمنشور سيادة القاصد الرسوليّ في الدستور والحرّيَّة دليلًا على حسن نظرهم

*

دَعْنا الآن نحلّق في الفضاء فنعبر الاوقيانوس ونحطّ في اميركة لنعتبر ما حدث من الوقائع الدينيَّة في العام المنتهي ولنباشرنَّ بالاقطار الشماليَّة فنجد أوّلًا بلاد كندا فانّها أقامت في السنة ١٩٠٨ اعيادًا غاية في البهاء ذكرًا للمئة الثالثة لبناء عاصمتها الاولى كيبك على يد الفرنسويّ شاميلان (Champlain) وكان للدين في هذه المواسم السهم الأوفى . وكان الحبر الاعظم سبق في ٤ أيّار فأنهى الى الكاثوليك في تلك البلاد تهانئهُ وبارك اعمالهم وشكرهم على دينهم وتقاهم وبعث همهم للسير على آثار اجدادهم . وكان موعد العيد في اواخر تموز . وفي ٢٦ منهُ اجتمع خمسمائة الف من

الكنديين في ضواحي كيبك في سهول ابراهيم التي فيها مات ميتة الابطال الجنرال الفرنسوي مُنتكلم (Montcalm) سنة ١٧٥٩ فقدَّم هناك السيِّد باجين (Bégin) رئيس اساقفة كيبك الذبيحة الالهيَّة فبلغ التحمُّس الدينيّ في قلوب الحضور اقصى مبلغهِ في تلك المظاهرة التي لم يسبق لها مثيل في اميركة الشمالية

وإن انحدرنا من ثمَّ الى الولايات المتَّحدة رأينا الدين فيها معزَّزًا والفضل في ذلك لاساقفة تلك البلاد ولمؤمنيها الصادقين . وكذلك يشكر الكاثوليك حسن معاملة الحكومة نحوهم . فانَّ الرئيس السابق روزفلت لم يدع فرصة لاطراء الكاثوليك والثناء على اعمالهم وخاوص خدمتهم للوطن . وقد سبق الشرق واخبر عن لطفهِ اذ حضر قبل سنتين مناظرة لاهوتيَّة دعاهُ اليها الآباء اليسوعيُّون فجاهر بمدح الرهبان . وخلفهُ الرئيس تافت جارٍ على وتيرتهِ في اعتبار الدين الكاثوليكيّ ولهُ في الامر سوابق فانَّهُ اذ كان حاكمًا في جزائر فيليبين عجم عود المرسلين واختبر نفوذهم في تهذيب اهل تلك البلاد وبواسطتهِ تمَّت على رضى الفريقين المخابرات بين واشنغتون والواتيكان بخصوص الاكليروس في تلك الجهات ومما كتبهُ اذ ذاك ما يستحقُّ أن يُرقم بحروف الذهب فتأمَّلهُ كلُّ ارباب الدول قال ولله درُّهُ من قول : « لستُ من ابناء الكنيسة الكاثوليكيَّة الَّا أنَّهُ ما من احد يشاهد اعمالها في بلاد فيليبين دون أن تضطرَّهُ الحقيقة الى الاقرار بفضل ذريها في الخير العظيم الذي يعمانهُ . وانا اعدُّ من افجع النكبات ما حلَّ بتلك البلاد من هدم الكنائس الكاثوليكيَّة . نعم انَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة هي اقوى مؤيد للسلم ولها اليد الطولى في توثيق اسباب الالفة العموميَّة واستتباب الامن فعلى الحكومة ان ابتغت الحفظ على صوالحها ان تؤيد الكنيسة المذكورة وتأخذ بناصرها . وعندي انَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة اعظم وسيلة واقوى عامل على تنصير العالم »

أفينذهل احد بعد ذلك ان تأتي الكنيسة الكاثوليكيَّة باثارها الطيِّبة في العالم الجديد . فانَّ الاحصاء الاخير يبلغ عددُ الكاثوليك في الولايات المتَّحدة ١٦,٠٠٠,٠٠٠ منهم ألفا الف في نويورك وحدها . واخبار تلك البلاد كثيرًا ما تروي اهتداء البروتستانت الى الدين المستقيم وليس الرعاع منهم بل افضلهم واكثرهم تهذيبًا . من ذلك ما ورد آخرًا عن السير غارواي (Garwey) رئيس الكنيسة الاسقفيَّة في

فيلادلفيا انهُ طلب الانحياز الى الحظيرة البطرسيَّة مع رعيَّته كلّها

ومن الشواهد على ترقّي الكثلكة في الولايات المتحدة انَّ في البحريَّة الاميركيَّة ٦٠٠٠ من الكاثوليك وهو عدد وافر بالنسبة الى مجموع البحّارة الذين لا يتجاوزون ١٢٠٠٠ . ولهم كهنة يهتمُّون بشؤونهم وقد اخبر رئيسهم في رسالة انَّ الاسطول الاميركيّ ارسى في ريوجانيرو في ١٩ كانون الثاني وكان عيد القديس سبستيان شفيع المدينة فنزل الملّاحون الكاثوليك وعددهم ٨٠٠ الى البرّ وشاركوا الاهلين بالعيد فتضاعفت بذلك الافراح واشتدَّ ازر الدين

ومنها ايضاً انَّ الكاثوليك باشروا بطبع دائرة علميَّة واسعة في ١٥ جلداً ضخماً مع رسوم وصور يكتب فصولها جلّة العلماء . وقد أهدى مدير العمل السيّد كندي (Kennedy) الجلد الأوّل منها لقداسة الحبر الاعظم في كانون الاوّل من السنة ١٩٠٧ وفيهِ دليل واضح على انَّ الكاثوليك يجلُّون كلّ العلوم ولا يأنفون الّا من الضلال وحده

مدَّ السلام رواقهُ على المكسيك والدين هناك في عزّ ورفعة وقد افادتنا الأنباء مؤخّرًا عن اهتداء احد دعاة الشيع البروتستانيَّة واركانها المعدودين . فكان لاستنارته بضياء الايمان احسن وقع في القارب

عادت حكومة بوليفيا واستأنفت العلاقات مع الكرسيّ الرسوليّ بعد قطعها زمناً والفضل في ذلك للنائب الرسوليّ الذي اوفدهُ الحبر الاعظم الى تلك الدولة

وعدتنا الصين باعلان الدستور بعد ثماني سنوات فلا ريب انَّ الديانة ينالها من ذلك حصَّة لتوسيع نطاقها بين تلك الامم المتكمة في ظلمة الشرك

امَّا اليابان فانَّ اهلها رغماً عن تفورهم من الاجانب يقدّرون المرسلين الكاثوليك قدرهم . والمأمول انَّ اليسوعيين الذين دخلوا تلك البلاد بعد نفيهم عنها مدَّة مائتي سنة يباشرون قريباً بانشاء مدرسة كليَّة في توكيو وفقاً لرغائب الحبر الرومانيّ . ومما دلّ على تقرُّب ودّي من الكنيسة الكاثوليكيَّة ان جلالة الميكادو اهدى عدَّة اوسمة وشارات شرفيَّة لكثيرين من حاشية البلاط الواتيكانيّ

فهذا النظر الاجمالي عن الديانات في انحاء العالم كافٍ ليبرهن للقرّاء الكرام عن سموّ مقام كنيسة المسيح في العصور

وقد ضربنا الصفح عن ذكر مآثر متعدّدة لقداسة الحبر الاعظم يوس العاشر افقهٌ من الاطالة المملّة كتصدّيهِ للاضاليل العصريّة واطفائهِ لجمرها بحرم أنصارها ولاسيما الكاهن لوازي وكدفاعهِ عن حقوق الكرسيّ الرسوليّ واحتجاجهِ على الحكومة الفرنسويّة لسلبها اوقاف الموتى وكرسالتهِ العامّة الى الكهنة في كلّ العالم ليحيي فيهم روح دعوتهم السامية. وقد مرّ للمشرق (١١: ٨٠٣) ذكر بعض هذه المآثر في مقالتهِ عن يوبيل قداسة البابا الكهنوتي فعليك بالمراجعة (التتمّة لعدد آخر)

الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

الادباء النصارى (تابع)

قيل لنّ من اشبه اباهُ ما ظلم. وقد صدق المثل تمامًا في اولاد الشيخ ناصيف اليازجيّ فانهم تعقّبوا كلّهم آثار والدهم. وكان اكبرهم الشيخ حبيب ولد في ١٥ شباط سنة ١٨٣٣ ولمّا ترعرع وجد اباهُ كهلًا تامّ القوّة كامل العقل مولعًا بالآداب فدرس عليهِ كلّ الفنون العربيّة. ثمّ مال الى اللغات الاجنبيّة فأتقن الفرنسويّة حتى برع فيها وتعلّم غيرها كالايطاليّة والانكليزيّة واليونانيّة والتركيّة. وكان يتردّد على المرسلين اليسوعيين في بيروت ويستفيد منهم. وتجد اسمهُ في قائمة الادباء المنتظمين في الجمعيّة المشرقيّة التي انشأوها سنة ١٨٥٠ واكتشف بعض آثارها جناب مكاتبنا يوسف افندي اليان سركيس (ص ٣٢) ثم تفرّغ للكتابة وعرّب بعض التآليف الاجنبيّة منها قصّة عادليدة برتروبك. ومنها ايضًا قصّة تلماك التي ألّفها فنيلون فاجاد في تعريبها الّا انّها لم تطبع وقد طُبعت في مصر ترجمة أخرى دونها حسنًا. ومن